رُؤْيَةٌ دَلالِيَّةٌ
فِي وُجُوبِ الوِحْدَةِ الإِسْلامِيَّةِ فِي القُرْآنِ

رجاء محسن حمد

المديرية العامة للتربية – النجف الاشرف

فحوى البحث

يجري البحث في سياق عرض دعوة القرآن الكريم الى تحقيق الوحدة الاسلامية وتلاحم المجتمع تحت خيمة التوحد الفكري والاجتماعي من خلال آيات شريفة دعت الى ذلك من دون تصريح بمصطلح (الوحدة) بل من خلال النهي عن التفرق و الامر بالاعتصام بحبل الله المتين. وعلى هذا الاساس فقد وقف البحث عند بعض النصوص القرآنية التي توجب توحيد الكلمة ضمن ثلاثة مباحث هي:

- وجوب الوحدة من خلال الاوامر الصريحة.
- وجوب الوحدة من خلال الاوامر غير الصريحة.
- وجوب الوحدة من خلال الجملة اللزومية، اي النهي عن شيء بالامر بضده.

المقدمة

القرآن الكريم كتاب دعوة وتشريع إسلامي، فهو يحاجج ويرغّب ويرهّب ويدعو... من خلال وسائط لفظية متنوعة تدخل كلها في دائرة التعبير الفني الاخباري مؤلِّفة وحدة لغوية تسهم في إثراء المعنى، كما ويحمل في آياته المرتكزات والنصوص الاساسية الموجزة والمعجزة للتصور الإسلامي للحياة، والمُشرِّعة للأحكام التي تسهم في بناء مجتمع سليم، ولاشك في أن الوحدة هي الاصل الاصيل الذي ينظم حياة المسلمين ويوجههم الوجهة الصالحة الحقيقية، والاسلام كما دعا الى كلمة التوحيد فإنه كذلك دعا الى توحيد الكلمة، فلولا وحدة الكلمة لكان الاسلام في بدء طلوعه فريسة لمطامع الظالمين، كما إن الخطوة الاساس في توحيد كلمة المسلمين أن يجعلوا التوحيد معيارا واضحا وصريحا في تحديد المسلم، فالامران متلازمان لا ينفكان بعضهما عن بعض وعلى الرغم من أن التعبير القرآني لم يورد نصا بصيغة الامر للفظ (الوحدة) مثلا (وحّدوا صفوفكم أو توحّدوا) إلا انّ هذا المعنى ورد بلفظ (اعتصموا بحبل الله)؛ لأن الوحدة التي تكون بمعزل عن الاعتصام بحبل الله لا معنى لها وهذا يعني أن مجرد الاجتماع حول محور مشترك فحسب ليس أكثر من إجتماع مؤقت وغير حقيقي، وكون الوحدة بها حاجة الى المحور والمبنى والاساس الواحد، لذا يمكن النظر الى (حبل الله) بمثابة محور اساسي للوحدة، وفي [سورة النساء: ١] يرسم النّص القرآني منهجا قويما للمجتمع انطلاقا من الوحدة الانسانية (وحدة الاصل والرحم) ويقرنها بتقوى الله ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ﴾[سورة النساء: ١] فمن تقوى الله التمسك بالسبل المنجية من الفرقة والتشرذم والاقتتال. وبما أن التعبير القرآني يسعى الى ترسيخ الاسس والقواعد المعنوية وتثبيتها في النفس والدعوة الى العمل السوي الصالح من خلال تحقيق القناعة بالإبانة والتوضيح اولا ثم توجيه المعنى ثانيا عمد الى عرض الحدث أكثر من مرة،

مراعيا جوانبه كافة، وهو بهذا التعدد إنما يسعى لغاية واحدة تتمثل بتأكيد العبرة والعظة عن طريق اللجوء الى طرق وفنون القول المتنوعة ومنها الاستعاضة بالجملة الخبرية الاسمية للدلالة على وجوب الوحدة بوصفها وحدة تركيبية دالة على الدوام والثبوت، كما حقق دلالة الوجوب من خلال النهي عمّا أمر بضده أي النهي عن كل ما ينافي ويقابل الوحدة، وعلى أساس من هذا سيقف البحث عند بعض النصوص القرآنية التي توجب الوحدة الاسلامية.

المبحث الاول:

وجوب الوحدة من خلال الاوامر الصريحة

إنّ الاصل في صيغة الامر أنّ تدل على وجوب الفعل، مالم تقم قرينة على خلاف ذلك، والقرآن الكريم بوصفه نصا خطابيا شموليا يمثل خطابا تشريعيا يضمن للبشرية بلوغ السعادة والامان، وإنّ من أعظم غاياته التشريعية إجتماع الكلمة ووحدة الصف، ويتمثل ذلك بالنصوص القرآنية الآتية:-

المطلب الاول:

دلالة الوجوب من خلال نصيّة (الاعتصام بحبل الله)

قال تعالى: ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [سورة ال عمران: ١٠٣].

الآية تسير في مسارين: الاول، تشريعي، والثاني، بياني وكلاهما يجتمعان ليؤكدا حقيقة ثابتة هي إقامة الحجة والدليل والبرهان على وجوب الوحدة في المجتمع الاسلامي عن طريق تعاضد الخطاب المباشر والخطاب الفني ممثلا بالفن البياني المسمى (الاستعارة)، مضمون الآية لزوم الاعتصام بحبل الله، بصيغة فعل الامر الذي يوجب الالزام والامتثال والاعتصام ((افتعال من العصمة، وهو التمسك بما يعصمك ويمنعك من المحذور والمخوف، فالعصمة: الحمية والاعتصام الاحتماء،

ومنه سمّيت القلاع: العواصم لمنعها وحمايتها))[1] وقد أختلف المفسرون في معنى (الحبل) فمنهم من قال: ((القرآن، الدين، العهد،...))[2] وأيا كان الفهم فالكل يقود الى التوحيد دينيا وإجتماعيا، إذ لا تتحقق الوحدة، إلاّ على اساس هدف واحد، ومنهج واحد إلاّ انّ قرينة السياق تثبت أنّ المراد بالحبل (الاسلام) فهو يمثل نعمته سبحانه التي كانت سبب نجاتهم من (العداوة، النار)، انّ هذه الاستعارة ترسم صورة لهيئة إجتماعهم على دين الله كهيئة المتمسك بحبل أُلقي الى من كاد يهوي في حفرة من النار، فالمستعار له (الدين)، والمستعار منه (الحبل)، اما العلاقة الخفية الجامعة بينهما هي: (القوة، المتانة، النجاة، التواصل...) كلها معانٍ ثوانٍ أما المعنى الاول الحسي فهو (مجموعة الخيوط المتماسكة) الغائب لفظا الحاضر في الذهن إذ يشكل الاساس الذي انطلقت منه المعاني الثواني، فإن لم يكن بيننا ما نعتصم به، فلا يمكن أن نتحد، أي تنتفي الوحدة بانتفاء الاسباب المؤدية اليها، وقوله (جميعا) لتأكيد العموم المستفاد من واو الجماعة، وقوله (ولا تفرقوا) فأن الشيء قد يؤكد بنفي ضده، فصدر الآية أمر بالوحدة، وهذا نهي عمّا يضادها وهو التفرقة فمن لم يتبع احدهما اتبع الآخر، ولهذا قال ﴿ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾.

التزام الوحدة

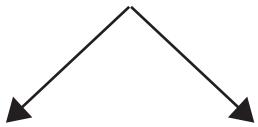

تحقيق (اثبات)	منع (نهي)
اعتصموا	لاتتفرقوا

ثم بدأ (جلَّ جلاله) بالتذكير بما اسبغه عليهم من فضل منبهاً إياهم بما يترتب عليهم من التزام الفعل المقدم طاعة له من باب رد العرفان والشكر والامتنان، والتذكير بالنعمة جاء على مراحل، وهذا التدرج لم يأتِ اعتباطيا إنما قصده السياق القرآني، حيث إنّ هذا الترتيب والتتابع يثير ذهن المتلقي فيدفعه

(١) مدارج السالكين: ١/ ٤٦٠، ظ: الالوسي: ٣/ ١٥٦.
(٢) البحر المحيط: ٣/ ٣٤٠، وظ: البحر المديد: ١/ ٣١٥.

الى التساؤل عن ماهية الفرق بين النعمة الاولى والنعمة الثانية وسبب تقديم احداهما على الاخرى، فالنعمة الاولى: دنيوية فيها تذكير بحالهم التي كانوا عليها من البغضاء والعداوة والتقاتل، اما الثانية فانها مخصوصة بحدث أخروي متعلق بانقاذهم من السقوط في النار، وهم ليقينهم بدخول الكفرة النار، علموا انهم كانوا على شفاها، بما انّ الاعتصام جميعا بجامعة الاسلام كان سبب النجاة في الدنيا والاخرة، وجب الحال هذا أن تكون الوحدة واجبة لتحقيق السعادة الانسانية الدنيوية والاخروية.

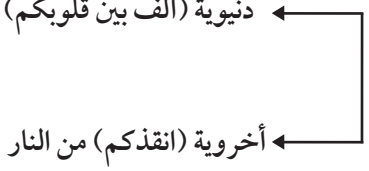

المطلب الثاني:

دلالة الوجوب من خلال نصيّة

(إتقاء الارحام)

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴾[سورة النساء: ١].

إنّ الناظر الى صدر الآية يجد أنها تمثل دليلا على أنّ الآية فيها معنى الفرض والواجب لأنها بدأت بعبارة (يا ايها الناس) وهذا غالبا ما تبتدىء به الآيات التشريعية وهو أدق انواع الخطاب للتعريف بحقيقتهم الانسانية[٣]، هذه السمة التي شرّف الله بها بني آدم دون سواهم من خلقه وقد امتاز هذا الخطاب بتفاعله مع الذات، حيث يمس شغاف القلوب وتصل الى اغوارالعقول، وتقف امام عتبة الفكر، ثم تلاها بصيغة الامر (اتقوا) فضلا عن تضمنها معنى التأكيد واسباب المبالغة منها ما في (يا) من التأكيد والتنبيه، وما في (ها) من التنبيه، وما في التدرج من الابهام في (أيُّ) الى التوضيح، والخطاب موجه الى الناس ((ليشمل جميع امة الدعوة الذين يسمعون القرآن يومئذ وفيما يأتي من الزمان))[٤] يريد دعوتهم

(٣) ظ: نداء المخاطبين في القرآن اسراره وبلاغته: ٨٧.

(٤) التحرير والتنوير: ٣/ ٣١٣.

الى تقوى ربهم في امر انفسهم، فضمير الخطاب في قوله (خلقكم) عائد على الناس المخاطبين وهم ناس متحدون في الحقيقة الانسانية من غير اختلاف، فقوله (من نفس) متعلق بـ (خلقكم)[٥] وفي هذا تنبيه على ((إيجاد الاصل، وتفرع العالم الانساني منه ليحث على التوافق والتواد والتعاطف وعدم الاختلاف ولينبه بذلك على أنّ أصل الجنس الانساني واحد))[٦]فبعضهم من بعض في أصل التوالد، وعَطْف قوله (وخلق منها زوجها) وقوله (وبث منهما) على (من نفس واحدة) زيادة تحقيق في اتصال الناس بعضهم ببعض[٧]، إذ الكل من اصل واحد، فالآية مؤصلة لحقيقة الوحدة الانسانية في اسمى معانيها.

وفي تكرار الامر بالتقوى زيادة فائدة وهي إفادة الاهتمام التام بأمر الارحام وقد استعير الرحم للقرابة والصلة لكونهم خارجين من رحم واحدة وقد قُرنت بتقوى الله، ((وإن اختلف معنى التقويين، لأنّ تقوى الله بالتزام طاعته وإجتناب معاصيه، واتقاء الارحام بأن توصل ولا تقطع))[٨] وفي هذا دلالة على عظم ذنب قطع الرحم، وفي قوله ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبًا﴾ تعليل الامر بالتقوى في الوحدة الانسانية السارية بين افراد المجتمع وحفظ آثارها اللازمة لها هو وقاية لها من الفساد والسقوط[٩]، وقد وظّف النّص القرآني البناء (فعيل) للمبالغة في الرقابة ليدل على حدّة النظر الى أمر يريد تحقيقه ولا يراد بكان تقييد الفعل في الزمن الماضي بل المعنى الديمومة فسبحانه رقيب في كل وقت علينا، وهكذا قرر القرآن الكريم دستور الاسلام أن البشرية من أصل واحد تجمعهم اخوة الاصل الواحد وتوجب عليهم إتقاء حقوقها.

المبحث الثاني:

وجوب الوحدة من خلال الاوامر غير الصريحة

إنّ التعبير القرآني، ولمقتضيات دلالية

(٥) م. ن.
(٦) البحر المحيط: ٤/ ٩.
(٧) ظ: التحرير والتنوير: ٣/ ٣١٤.
(٨) البحر المحيط: ٤/ ١٣.
(٩) ظ: الميزان: ٤/ ٥.

مقصودة، استعاض بالجملة الخبرية الاسمية للدلالة على الامر في مواضع كثيرة بحسب ما يقتضيه المقام، وذلك بوصفها وحدة تركيبية دالة على الثبوت والدوام، ولعل ذلك يتضح من خلال الميدان التطبيقي، وعلى النحو الآتي: ـ

المطلب الاول:

دلالة الوجوب من خلال نصيّة

(المؤمنون اخوة)

قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾[سورة الحجرات: ١٠].

الآية الكريمة نص بوجوب الاخوة بين المؤمنين بالادلة اللغوية الآتية:-

اولا: صيغة القصر المفيدة لحصر حال المؤمنين في حال الاخوة، والمعنى ليس المؤمنون إلاّ اخوة أي: لا اعداء، فالاداة (إنما) ((توحي بأن ترك التصريح بما يخالف ما اثبته هو من الوضوح بمكانة، كما أنّ الاكتفاء بالمثبت يوحي بأنه لا يليق أن يوازن بين ما ثبت وما نفي))[١٠] فالآية وإن كانت إخبارية المبنى لكنها تشريعية آمرة في حصر حال المؤمنين في حال الاخوة لأن شأن (انما) ((إثبات لما يذكر بعدها ونفي لما سواه))[١١] فضلا عن دلالتها على الخبر الذي ((لا يجهله المخاطب ولا يدفع صحته))[١٢] دلالة قوية تقرر وجوب الاخوة بين المسلمين.

ثانيا: اختيار النّص لفظ (اخوة) بدلا من (اخوان) تصويرا لقوة العلاقة بين المؤمنين التي توجب التراحم والتواد، فعند استقراء الآيات القرآنية التي وردت فيها اللفظتان نجد بينهما فرقا وهو أنّ لفظ (الاخوان) يطلق على اخوة النسب في الولادة والدين ويطلق على اخوة الصداقة والوداد مثل لفظ (الاخ) سواء بسواء، واما لفظ (الاخوة) فلا يطلق إلاّ على اخوة النسب في الولادة والدين وبذلك يعلم أنّ اللفظتين يشتركان في إطلاق كل واحد منهما على اخوة النسب في الولادة والدين، ثم يفترقان، فينفرد الاول في إطلاقه على اخوة الصداقة والوداد، دون الثاني[١٣].

(١٠) من بلاغة القرآن: ١٦٠.

(١١) لسان العرب: أنن.

(١٢) التحرير والتنوير.

(١٣) ظ: اللباب في علوم القرآن: ١٤/ ٣١٥.

ثالثا: جاء التشبيه في الآية بليغا، بحذف الاداة ووجه الشبه، والتشبيه البليغ يقوم على تصور المشترك المخفي بين لفظ ولفظ.

والغرض منه التشديد والمبالغة في تقريب المشبه من المشبه به، لأن الاقتران بحرف التشبيه يشعر بضعف صفتهم عن حقيقة الاخوة وفي حذفها يشعر بتساوي الطرفين، وعدم تفاضلهما، وحذف وجه الشبه يوحي بتشابه العلاقة الجامعة بينهما، وفي هذا زيادة لتقرير معنى الاخوة بينهم من خلال ((انتسابهم الى اصل واحد هو الايمان الموجب للبقاء الابدي))[١٤].

رابعا: ورود حرف المعنى (الفاء) للتفريع من باب تفريع المعلول على علته الغائية على تحقيق كون المؤمنين اخوة، لأنه لا معنى لثبوت التفريع بين شيئين إلاّ كون احدهما علة تامة والآخر معلولا فوجوب الاصلاح مادام متفرعا على الاخوة بين المؤمنين يثبت أنّ الاخوة علة تامة لوجوب الاصلاح ونستدل بالتفريع على حالة الملازمة بين الحكم الكلي (الأُخوَّة بين المؤمنين) والتفريع الجزئي (الاصلاح بينهم) للإيذان بأن الاخوة الدينية موجبة للاصلاح.

خامسا: ختمت الآية بقوله ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ تعبيراً عن الغاية من الامر بالتقوى التي من جملتها الاصلاح تحقيقا للوحدة، ولتدل على وجوب الوحدة بناء على الغاية منها، ذلك بأن دلالة (لعل) في الآية ليست للترجي على حد قول النحاة[١٥] بل تدل على التعليل فهي بمعنى (كي)، فإذا كانت التقوى (التي تحملكم على التواصل والائتلاف) سبب نزول رحمة الله اليكم واشتمال رأفته عليكم فكان تحقيقها في غاية الاهمية يلزم وجوبها وبالتالي وجوب فروعها المنتمية اليها (الوحدة والائتلاف).

المطلب الثاني:

دلالة الوجوب من خلال نصيّة (الامة واحدة)

قال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ﴾.

(١٤) الميزان: ١٨/ ١٦٧.

(١٥) ظ: اللمع في العربية: ٤١، وشرح ابن عقيل: ١/ ١١٣.

قال تعالى: ﴿ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ﴾ [سورة المؤمنون: ٥٢].

من الدلالات اللغوية التي اسهمت في ترسيخ وجوب الوحدة الاسلامية بين المسلمين تصدر النّص بـ (إنّ) التوكيدية التي تضيف الى دلالة الثبات والاطلاق الذي تفيده الجملة الاسمية دلالة الاقرار والتحقيق لاختصاصها بتوكيد معنى الجملة وتحققه[١٦] فضلا عن نفي الشك أو حصول الانكار بها مع توكيد نسبتها[١٧] وفي تمييز المسند اليه باسم الاشارة ليتقرر الحكم له ((لأنّ اسم الاشارة بطبيعة دلالته يحدد المراد منه تحديدا ظاهرا ويميزه تمييزا كاشفا وهذا التحديد قد يكون مقصدا مهما للمتكلم لأنه حين يكون معنيّا بالحكم على المسند اليه بخبر ما، فإنّ تمييز المسند اليه تمييزا واضحا يمنح الخبر مزيدا من القوة والتقرير))[١٨] وقوله (امة واحدة) حال موضحة وكاشفة لهيأتهم افادت التمييز والتشخيص لحال معشر البشر فالحال ((خبر في الحقيقة، من حيث إنك تثبت بها المعنى لذي الحال، كما تثبته بخبر المبتدأ للمبتدأ))[١٩] والمعنى: إنّ النوع الانساني متوحد غير متفرق يجمعهم مقصد واحد وهو الاسلام كعقيدة ونظام حياة فالامة ((كل جماعة يجمعهم أمر ما، اما دين واحد، او زمان واحد، او مكان واحد))[٢٠] فجاء التأكيد بذكر العدد في حالة الاثبات والتقرير للحكم ومعنى هذا الاخبار ان تلتزموا هذه الوحدة باسبابها المؤدية اليها ولا تنحرفوا عنها ولا تغيروا منها شيئا ((ولاجل هذا المراد جعل الخبر ما حقه أن يكون بيانا لاسم الاشارة لأنه لم يقصد به بيان اسم الاشارة بل قصد به الإخبار عن اسم الاشارة لإفادة الاتحاد بين مدلولي اسم الاشارة وخبره فيفيد انه هو هو لا يغير عن حاله))[٢١].

(١٦) ظ: المفصل في صنعة الاعراب: ٣٧٧.
(١٧) ظ: اوضح المسالك: ١/ ٢٣٧.
(١٨) خصائص التراكيب دراسة تحليلية: ٢٠٠.
(١٩) دلائل الاعجاز: ١٤١.
(٢٠) مجمع البحرين: ١/ ١٠٠.
(٢١) التحرير والتنوير: ٩/ ٣٧٣.

وعطف قوله (انا ربكم) على (امة واحدة) بمعنى انا ربكم ربا واحدا[٢٢] فلحرف العطف دور وظيفي يكمن في تحقيق التواصل المعنوي عن طريق الربط الذي يمثل عملية ذهنية تتعلق بالتقارب المعنوي للمفردات التي تشترك في مضمون موحد داخل النّص والرابط بين شهادة التوحيد والوحدة هو لما كانت الجماعة لا تتحقق إلاّ بالاجتماع على التوحيد الخالص لله تعالى، كان الامر بالعبادة والامر بالتقوى له سبحانه لان الإخلال بهذا التوحيد أو الاتيان بما يؤثر فيه أو ينقصه أو يذهبه من شركيات وبدع سيؤدي الى الفرقة المذمومة ((ويجوز أن يكون الامران وقعا في خطاب واحد، فاقتصر على بعضه في سورة الانبياء وذكر معظمه في (سورة المؤمنون) بحسب ما اقتضاه مقام الحكاية في كلتا السورتين))[٢٣]، فالتركيز في القرآن قد جاء إذن على مفهوم الامة التي توصف بأنها امة واحدة، وليس على مفهوم الوحدة التي تضاف الى الامة وهذا يعني أن الامة هي الاصل، اما مسألة الامة ووحدتها فهي طارئة بعد ما حلّ بالامة ما حلّ بها[٢٤].

المبحث الثالث:

وجوب الوحدة من خلال الجملة اللزومية

ويعبر عنها بالنهي عن شيء بالأمر بضده، والمعنى: اذا نُهي عن شيء، فاذا كان له ضد واحد فهو امر بذلك الضد، وإنّ كان له اضداد فهو امر بكل ضد من اضداده لاستحالة الجمع بين الضدين، فالنهي عن الفرقة هو امر بالوحدة، بيد أنّ الامر بالوحدة ليس هو عين النهي عن الفرقة ولكن يستلزمه، وسيقف البحث عند هذه الظاهرة الاسلوبية على النحو الآتي:-

المطلب الاول: دلالة الوجوب من خلال نصيّة (النهي عن الافتراق والاختلاف بصيغة التهديد والوعيد):

قال تعالى: ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾.

(٢٢) ظ: م. ن: ٩/ ٢٠٤.

(٢٣) م. ن: ٩/ ٣٧٢.

(٢٤) ظ: هموم الامة الاسلامية: ٧١.

اريد بالذين تفرقوا واختلفوا، الذين اختلفوا في اصول الدين من اليهود والنصارى من بعد ما جاءهم من الدلائل المانعة من الاختلاف والافتراق[٢٥]، فـ(لا الناهية) فيها إلزام بطلب الكف عن الفعل، وقد اختلف في المنع (التحريم، الكراهية او التحقير، بيان العاقبة) وهذه المعاني لا تتحدد إلاّ بوجود قرينة تدل عليها وذيل الآية قرينة دالة على تحريم التفرق بلحاظ آخرته وعقباه والمقام هنا تشبيهي فيه استحضار لزمن مضى إلاّ أنّ التشبيه ليس إجراء مقابلة بين شيئين ومعرفة وجه الشبه بينهما انما يتعدى هذه الوظيفة الى ما هو ابعد من بيان اثر الافتراق في كلا الموقعين، وقد تعددت صوره قولا وفعلا والمقام قد اقتضى حضور هذا التلازم لئلا يفعل المؤمنون ما فعله اليهود والنصارى، فالمقصد انما هو تحقيق البعد النفسي وإقراره بتسوية الحالة المشبهة ((فلم تلبث الامة بعد رسول الله ﷺ دون أن تفرقوا شذر مذر واختلفوا في مذاهب شتى بعضهم يكفر بعضا من لدن عصر الصحابة الى يومنا))[٢٦].

وقدم الافتراق على الاختلاف للايذان بأن الاختلاف علة التفرق وهذا من المفادات الحاصلة من ترتيب الكلام وذكر الاشياء مع مقارناتها وفيه إشارة بأنّ الاختلاف المذموم هو الذي يؤدي الى الافتراق ((وقد اكد القرآن الدعوة الى الاتحاد وبالغ في النهي عن الاختلاف وليس ذلك إلا لما كان يتفرس من امر هذه الامة أنهم سيختلفون كالذين من قبلهم بل يزيدون عليهم في ذلك))[٢٧].

واشار النّص الى المشبَّه به متجاهلا اسمهم ووصفهم الى التأكيد في إبراز فعلهم الذي زاد في تقبيحه بأنه وقع بعد الآيات الواضحة المبينة للحق الموجبة لعدم الاختلاف مشيرا اليهم بقوله (اولئك) إشارة الى مكانتهم البعيدة عن الله تعالى واستبعادهم عن التدبر الذي دعوا اليه وتفريطهم في تجنب اسباب

(٢٥) ظ: الكشاف: ١/ ٣٠٩، تفسير ابي السعود: ١/ ٤٣٢.

(٢٦) الميزان: ٣/ ٢٠٤.

(٢٧) م. ن.

الاختلاف والتفرق، وان سَوْق الجملة مساق الإخبار مستعمل في التهديد بالهلاك وبأنّ مصيرهم قياسا على إهلاك الامم السابقة وفي هذا دلالة واضحة على أنّ النهي عن الافتراق دعوة إلزام لضده (الوحدة).

المطلب الثاني: دلالة الوجوب من خلال نصيّة (التفرق دخول في دائرة الشرك):

قال تعالى: ﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾[سورة الروم: ٣٢].

لخطر الشرك، ورد التحذير منه في العديد من الآيات القرآنية، وقد تنوع الخطاب القرآني، في ذلك، بدءا من التحذير منه وبيان خطره، وانتهاء ببيان حكم المشرك وعاقبته في الآخرة، قال تعالى في بيان عظم جريمة الشرك ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [سورة لقمان: ١٣]، والدخول في دائرة الشرك قد يكون بموادةٍ او معاشرةٍ او عمل تشابهونهم فيه، وقد عرّفهم النّص القرآني بأخص صفاتهم ف (من) هنا للتبيين ((وهو تفرقهم في دينهم وكونهم شيعة شيعة وحزبا حزبا يفرح ويسر كل شيعة وحزب بما عندهم من الدين... فبيّن أنهم بنوا دينهم على أساس الاهواء))[٢٨]، ومن دأب القرآن أنه اذا بالغ في التحذير عن شيء والنهي عن اقترافه كان ذلك آية وقوعه وارتكابه[٢٩]، وقد صدق جريان الحوادث هذا فقد ابتليت الامة بالاختلاف والتفرق، وانحياز كثير من المسلمين الى شعب وفرق، فأصبح الولاء للفرقة والجماعة قبل أن يكون لله تعالى ورسوله، وبرغم التحذيرات الالهية وقعت الامة في مغبة ما حُذِّروا منه لأنها بنت الدين على اساس الهوى الذي لا يثبت على حالة واحدة وتركت المحور الاساس الذي امروا بالتزامه إلا وهو (الاعتصام بحبل الله) فسلكوا سبيل المشركين في ذلك فكانوا منهم.

---

(٢٨) الميزان: ١٦/ ٩٥، وظ: ابن كثير: ٦/ ٣١٦.

(٢٩) ظ: م. ن: ٣/ ٢٠٤.

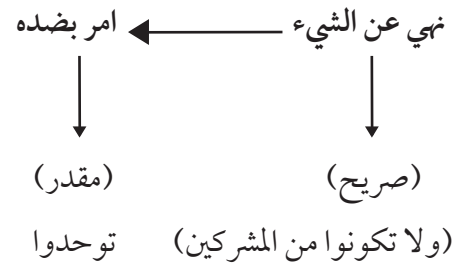

الخاتمة

وبعد وصولنا الى نهاية المطاف نوجز اهم نتائج البحث وهي:

١. ان التعبير القرآني لم يورد نصا على هيأة فعل الامر للفظ (الوحدة) مثلا (وحدوا صفوفكم، او توحدوا) إلا ان هذا المعنى ورد بلفظ (اعتصموا) لأن الوحدة التي تكون بمعزل عن الاعتصام بحبل الله لا معنى لها وهذا يعني أنّ مجرد الاجتماع حول محور مشترك فحسب ليس اكثر من اجتماع مؤقت غير حقيقي.

٢. ان الوحدة الاسلامية فريضة واجبة من خلال النظر الى:-

أ- تكرار القرآن الامر بالوحدة، مستقصيا البنى التعبيرية المفضية اليه والمعبرة عنه دلالة على اهميته الكبرى ومكانته العظمى.

ب- ان تفرق الكلمة في الدين (المحور الاساسي للوحدة) يعد شركا والشرك بالله من اكبر الكبائر الموبقة.

ج- التهديد والوعيد المساق ليرهب المتلقي فينتهي الى هذا النوع من الفعل (التفرق) ممنوعة بعلة جزائها.

د- إقتران التقوى في الوحدة الانسانية بتقوى الله فمن تقوى الله التمسك بالسبل المنجية من الفرقة والتشرذم والاقتتال.

٣. ان الصيغ التعبيرية لوجوب الوحدة قد تنوعت في القرآن الكريم لتحقق غايته في التاكيد والتفصيل وابراز الغرض الديني الذي يعمد الى الاعادة بالاسلوب عينه (الامر)، ولكن بطريقة فنية تخرجه عن سياقه الاول الى سياق ثان قد يماثله في الهيأة والجوهر، لكنه يتجسد على وفق رؤية خاصة في التعبير عن فكرة جديدة لمناسبة جديدة بصيغة تبعده فيها عن الاسهاب والاطالة التي تؤدي الى خلق الملل والسأم الى اضفاء تجدد

المعنى وتواصله وزيادة الرغبة نحوه، وقد وردت بثلاثة انماط:

١. **النمط الاول**: الاوامر الصريحة: وقد وردت بصيغة فعل الامر(افعل) التي تدل على الوجوب الفعل.

٢. **النمط الثاني**: الاوامر غير الصريحة: تمثلت بالجملة الخبرية الاسمية لدلالتها على تثبيت المعنى المقصود.

٣. **النمط الثالث**: الجملة اللزومية: ويعبر عنها بالنهي عن شيء امر بضده، أي النهي عن الفرقة والاختلاف يستلزم الامر بالوحدة.

٤. قرر القرآن الكريم دستور الاسلام أن البشرية من اصل واحد تجمعهم اخوة الاصل الواحد وتوجب عليهم إتقاء حقوقها.

أهم المصادر

- البحر المديد في تفسير القران المجيد، دار الكتب العلمية، بيروت –لبنان، ط٢(١٢٢٦هـ-٢٠٠٥م).
- التحرير والتنوير: محمد الطاهر بن عاشور، المطبعة: عيسى البابي الحلبي وشركائه، ط: ١ (١٩٦٤).
- تفسير أبي السعود المسمى إرشاد العقل السليم الى مزايا القرآن الكريم: أبو السعود محمد بن محمد العمادي (٩٥١ هـ)، دار احياء التراث العربي، بيروت–لبنان، (د. ت).
- تفسير القرآن العظيم: أبو البقاء اسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي (٧٧٤ هـ)، دار المعرفة، بيروت–لبنان، (١٩٩٢).
- البحر المحيط، ابن حيان الاندلسي (٧٤٥ هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت –لبنان، ط: ٢ (١٩٩٠).
- دلائل الإعجاز: ابو بكر عبد القاهر بن عبد الرحن بن محمد الجرجاني (٤٧١ هـ)، تحـ: د. محمد التنوجي، دار الكتاب العربي –بيروت، ط: ١(١٩٩٥).
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: ابو الفضل شهاب الدين الالوسي (١٢٧٠ هـ)، دار احياء التراث العربي، (د. ت).
- شرح ابن عقيل، مطبعة أمير قم، النشر: انتشارت محمد وفاتي، ط: ١

(١٣٧٤هـ).
- الكشاف عن حقائق التنزيل الزمخشري الخوازمي (٥٣٨ هـ)، تحـ: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت –لبنان، ط: ١(١٩٩٧).
- اللمع في العربية: ابو الفتح عثمان بن جني (٣٩٢ هـ)، تحـ: فائز فارس، دار الكتب الثقافية –الكويت، (١٩٧٢).
- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ابو عبد الله محمد بن ابي بكر، دار الكتاب العربي، (١٩٩٦م).
- مجمع البحرين: للعلامة المحدث الفقيه الشيخ فخر الدين الطريحي، منشورات دار و مكتبة الهلال (١٩٨٥).
- المفصّل في صنعة الإعراب، الزمخشري (٥٣٨ هـ)، تحـ: د. علي بو ملحم، دار ومكتبة الهلال –بيروت، ط: ١(١٩٩٣).
- الميزان: العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي (١٤٠٢ هـ)، مؤسسة النشر الإسلامي –قم، (د. ت).
- نداء المخاطبين في القرآن اسراره وبلاغته: علي عبد الواحد وافي، بحث منشور في مجلة كلية اللغة العربية، ع: ٨.